الباب الثاني

رؤية جديدة لصورة الفلسطيني في الأدب الإسرائيلي

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول
الواقعية في تناول الشخصية والقضية الفلسطينية في روايات ميجد

المبحث الأول: الشخصية الفلسطينية في روايات ميجد

يعتبر تناول أهارون ميجد للقضية والشخصية الفلسطينيتين من الملامح الرئيسية التي اهتم بها في رواياته التي كتبها بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحرص على إبرازها باعتبارها جزءًا أساسيًا لا يمكن إغفاله من الصراع العربي ـ الإسرائيلي عامة ومن صورة الواقع الإسرائيلي بشكل خاص وخاصة وأن الفلسطينيين في الأراضي المحتلة يعيشون حالة من المعايشة عن طريق الاحتكاك من ناحية، والمقاومة للاحتلال من ناحية أخرى نظرا لأن قطاعات كبيرة من أبناء قطاع غزة والضفة الغربية يعملون في قطاعات كبيرة من الاقتصاد الإسرائيلي [١]؛ وعن طريق المقاومة، نظرا لأن روح المقاومة الفلسطينية لم تتوقف منذ بداية الاحتلال الإسرائيلي عام

(١) تقدر نسبة العاملين في إسرائيل (من المناطق المحتلة)، بنحو ٤٠٪ من العمالة في الضفة الغربية وغزة، وقد ظلت مستقرة نسبياً قبل الانتفاضة الفلسطينية الأولى، واشتملت على ١٠٩ ألف عامل فلسطيني، تقريباً، في عام ١٩٨٧. إن العمالة الفلسطينية في إسرائيل أصبحت شيئًا لابد منه، بالنسبة إلى الطرفين، ولم تكن أقل ضرورة لإسرائيل مما هي للفلسطينيين، وبالنسبة إلى إسرائيل، فإن العمال الفلسطينيين يقبلون الأعمال التي يأنف الإسرائيليون بصورة متزايدة عن القيام بها، بالإضافة إلى أنهم عموماً عمال يعتمد عليهم، وجدِّيون، فإنهم يتلقون أجوراً أقل من تلك، التي يحصل عليها العمال الإسرائيليون.
(للمزيد راجع محمود المرسي شريف، السلطة والتجارة... البروتوكول الاقتصادي الإسرائيلي الفلسطيني، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد٢١، شتاء ١٩٩٥.

١٩٦٧، وازدادت اشتعالاً بعد الانتفاضة الفلسطينية الأولى في ٩/ ١٢/ ١٩٨٧.

وبطبيعة الحال فإن هذين البعدين :القضية، والشخصية الفلسطينيتين، يعتبران أحد ملامح الواقعية في روايات ميجد.

من المعروف أن الأعمال الأدبية العبرية، منذ بداية العشرينيات، وحتى منتصف السبعينيات حرصت على التركيز لدى تناولها للشخصية الفلسطينية على شخصية البدوي الفلسطيني وعلى شخصية ابن الريف الفلسطيني باعتبارهما الممثلين الرئيسيين لهذه الشخصية ثم تناولت بعد ذلك وعلى استحياء نماذج أبناء الحضر الفلسطيني الذين نالوا قسطا من التعليم وقد ألصقت بهذه الشخصية السمات السلبية مثل الأوصاف الخارجية التي تجعل شكله وملبسه أقرب إلى الحيوانات المفترسة وأن الصورة التي يرسمها الأدب العبري للشخصية الفلسطينية العربية صورة سلبية تضع العربي في مرتبة متدنية تصل إلى حد نزع صفاته الإنسانية وتجريده من صورته البشرية ليس من قبيل السب والتجريح، بل في إطار عملية فكرية معروفة لدى علماء النفس بمصطلح DEHUMANIZATION وهى عملية تستهدف تسهيل العدوان على الطرف الآخر باعتباره كائنا أدني في المرتبة لا يتمتع بها الكائن الإنساني من حقوق وحرمات[1].

ولم يقف الأدباء الإسرائيليون عند حد تشويه الشخصية العربية الفلسطينية من حيث المظهر الخارجي ولكن إلى حد تشويه الأخلاق حيث وصف العربي في أعمالهم الأدبية بالكذب والنفاق والخداع والجهل والتمسك بالتقاليد البالية ورفض مظاهر

(١) د. إبراهيم البحراوي، نزع الصفات الإنسانية عن العرب في الفكر الصهيوني...لماذا؟ (المقدمة) د/ محمود صميدة: استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب. (نحن وهم)(٢)، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٨، ص٧.

التقدم الحضاري والرغبة الجامحة في الانتقام والسلب والنهب والنهم الحيواني للنساء .....

«وتظهر الشخصية العربية الفلسطينية في الأدب العبري استنادا إلى مقولات ثلاث : العربي المتخلف، والعربي الغائب والعربي كممثل للأغيار، وتمثل مقولة العربي المتخلف ركيزة أساسية ضمن الرؤية الصهيونية للإنسان العربي، وهي رؤية يقيم الفكر الصهيوني بموجبها حقا لليهود في فلسطين. فالصهاينة الذين يمثلون التفوق العرقي الحضاري الغربي يرون في الشعب العربي الفلسطيني شعبًا متخلفًا يعتبر أفراده بالمقارنة بالصهاينة كسالى وجبناء وخونة ومستوى ذكائهم منخفض »[1].

وهكذا تعمد الأدب العبري الحديث والمعاصر رسم صورة للعربي الفلسطيني، هي أقرب ما تكون إلى الحيوان في الشراسة وسفك الدماء حتى يعطي المبرر لليهودي الإسرائيلي، أن يقتل ما شاء من هؤلاء العرب تنفيذًا لمبدأ « اقتله قبل أن يقتلك ». وعند نهوض الفلسطيني المقاتل من أجل حقوقه المشروعة وأراضيه السليبة وصف بالإرهابي وألصقوا به كل صفات الوحشية والعدوان والغدر.

وقد انعكست هذه الصورة في الأدب العبري المعاصر بشكل مغاير للواقع والحقيقة حيث كانت صورة موجهة ومحددة لخدمة أغراض الصهيونية وتكريس أهداف إسرائيل في احتلال أرض فلسطين وخاصة الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ .

ويصور ساميخ يزهار في قصته «خربة خزعة» العرب بصورة منفرة حتى أنهم لا

(*) د. رشاد الشامي، **الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي**، دراسة في أدب حرب ٤٨ عند ساميخ يزهار مع ترجمة قصة «خربة خزعة»، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٦.

يستحقون الصفح وخاصة أنه قد وصف قراهم بنفس الصورة المنفرة « كل أولئك العرب القذرون المتسللون لإحياء نفوسهم القاحلة في قراهم المهجورة مقيتين إلى حد الغضب فما الذي نريده منهم، ومن قراهم المقملة والمبقعة والمقفرة الخانقة ».

الرموز هنا واضحة وتشير إلى عدم وجود أبرار خالصين يستحقون الصفح : « فقال الرب إن وجدت في سدوم[1] خمسين بارًا في المدينة، فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم (سفر التكوين ١٨ :٢٦). وينتقل الرمز بعد ذلك إلى مرحلة الإفصاح : « أو قرى اللصوص التي بنهاية سدوم بكثيرة عليها»[2].

وحول صورة الشخصية العربية في لفكر الصهيوني، قام « لسيد يس»، بإجراء دراسة حول هذا الموضوع تحت عنوان «الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلي والمفهوم العربي» وقد تعرضت الدراسة إلى رؤية الصفوة الإسرائيلية للشخصية العربية، وكذا رؤية العلماء ومفهوم الرأي العام الإسرائيلي عن تلك الشخصية.

وقد خلص الباحث من خلال تلك الرؤى الإسرائيلية إلى « أن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة»، ولذلك فاتباع سياسة الروع والعنف معهم هي الأسلوب الأمثل . وهم قوم فرديون مفككون يميلون إلى الكذب والمبالغة وخداع الذات .

---

(١) سدوم: حادثة سدوم واردة في العهد القديم، عندما تفشت الخطيئة بقرية سدوم، وزاد صراخ أهلها أمام الرب، فكان تدمير القرية «لأننا مهلكون هذا المكان، إذ قد عظم صراخهم أمام الرب، فأرسلنا الرب لنهلكهم» (سفر التكوين: ١٩ : ١٣)، والمقارنة هنا بين عملية خزعة (العربية)، وعملية سدوم، مغالطة لطمس الواقع، ففي قصة العهد القديم عند سدوم، التمييز واضح بين الأخيار والأشرار، أما في (خربة خزعة)، فقد حكم الكاتب الإسرائيلي على أهلها بأنهم جميعاً أشرار يستحقون الإبادة.

(٢) الشامي، الفلسطينيون.. ،مصدر سبق ذكره، ص١٣٦.

وهم بالمقارنة بالإسرائيليين كسالى وجبناء وخونة ومستوى ذكاؤهم منخفض وعلى الجملة هم أدنى من الإسرائيليين [١].

«وفي حقيقة الأمر فإن صورة الشخصية العربية من خلال المفاهيم الإسرائيلية المختلفة، لم تختلف عن صورة الشخصية الفلسطينية، من حيث التشويه والتحقير» ولم تكن الشخصية العربية حتى عام ١٩٤٨ تميز في الفكر الصهيوني على أنها شخصية عربية فلسطينية، وإنما كانت تميز على أنها شخصية عربية فحسب، وذلك على أساس أن السكان الأصليين الفلسطينيين، كانوا يسمون عرباً سواء في المؤلفات ذات الطابع النظري أو في اليوميات الاستيطانية أو الروايات أو المراسلات الدبلوماسية وذلك يرجع لسببين:

إما لكون العرب كانوا كتلة بشرية واحدة، تتوزع عبر تقسيمات إدارية وليس عبر تقسيمات سياسية إقليمية يشكل كل منها دولة كما هو الآن أو أن ذلك فكر صهيوني مخطط يهدف إلى نزع اسم الشعب العربي صاحب الحق في هذه البلاد وهو الشعب الفلسطيني [٢].

«ولكن يهود عمدوا إلى نزع الهوية الفلسطينية عن عرب فلسطين حتى يمهدوا لفكرتهم« أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». وكانت صورة العربي الفلسطيني في الفكر الصهيوني، هي صورة البدوي الهمجي الجاهل، وقد كتب أحاد هاعام (١٨٥٦ - ١٩٢٧) [٣] يقول: « العرب رجال صحراء، أناس جهلة لا يرون ولا

(١) السيد يس: الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلي والمفهوم العربي، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٣، ص٤٣.

(٢) هاني الراهب، الشخصية الفلسطينية في الفكر الصهيوني العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد ٢٩١، فبراير ١٩٨٣، ص٣٦.

(٣) (أحاد هاعام ١٨٥٦ - ١٩٢٧)، الاسم الأدبي لأشير جينزبرج، وهو أحد الكتاب والمفكرين في الأدب العبري الحديث، ويعتبر فيلسوف الصهيونية الثقافية.

يفهمون ما يجري حولهم ثم تطورت صورة العربي الفلسطيني من بدوي إلى فلاح وذلك نتيجة للاصطدام الصهيوني بالواقع في فلسطين، وحيث اعتقد الصهاينة أنهم في موقع أخلاقي وحضاري لا يقاس بالعربي الفلسطيني ولذلك فقد صورته على أنه أقرب إلى المتسول من أي شيء آخر وأنه متخلف ومنحط وتلتصق به كل صفة سيئة وكل عادة ذميمة كما أنه لص وقذر وبالتالي فإنه ليس جديراً بأن يمتلك الأرض» [1].

«وقد تعرض الأدباء اليهود للتفاصيل الدقيقة للسمات الخارجية للشخصية الفلسطينية بالوصف والتشويه المتعمد فنجدهم يصفون الوجه بالشحوب والصفرة والبلاهة ويصفون العينين بأنهما محملقتان وشاردتان ترتعدان من الخوف والأسنان سوداء مثل أسنان الحيوانات» [2].

ولكن بعد حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ بشكل عام وبعد نشوب الانتفاضة الفلسطينية بشكل خاص، فصاعدا بدأ الأدب العبري المعاصر، وخاصة لدى قطاع من الأدباء الإسرائيليين ذوي الاتجاهات اليسارية، من الذين أيدوا حقوق الشعب الفلسطيني العادلة، في استعادة أراضيه المحتلة، وفي حق تقرير المصير وإقامة دولة فلسطينية (أمثال: أ.ب. يهو شواع (رواية العاشق) ودافيد جروسمان (رواية ابتسامة الجدي) وعاموس عوز (رواية الموقف الثالث) في تقديم صورة جديدة لهذه

(١) البحراوي، نزع الصفات الإنسانية.. مصدر سبق ذكره، ص٨٧ .

- وللمزيد راجع غانم مزعل: الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث ، منشورات الأسواق، القدس، ١٩٨٥ .

ودومب. ريزا، صورة العربي في الأدب اليهودي ١٩١١ - ١٩٤٨ ، ترجمة: عارف توفيق عطاري، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٧.

الشخصية الفلسطينية، وقد كان الأديب الإسرائيلي «أهارون ميجد» بلا شك أحد هؤلاء الأدباء الإسرائيليين الذين ساهموا في تقديم هذه الصورة الجديدة فقد قدم لنا أنماطاً جديدة من هذه الشخصية لم يتناولها أحد من قبله وربما تناولها من بعده آخرون ومن ذلك على سبيل المثال فإن «ميجد» يقدم نموذجاً للشخصية الفلسطينية المثقفة والتي إما تعيش في خارج فلسطين أو تعيش لتمارس دورها الفكري و لنضالي داخل الأراضي المحتلة.

أولاً: شخصية الفلسطيني المثقف:

قدم لنا ميجد في رواية «رحلة في أغسطس» صورة لشخصية الفلسطيني المثقف ثقافة أجنبية أي الذي تلقى تعليماً في الجامعات الأوربية من خلال شخصية الدكتور خليل بدران:

حيث جاء في النص التالي:

ـ «تذكر الدكتور خليل بدران: إنه فلسطيني من الكويت من مواليد يافا، رجل ذو قامة طويلة لطيف جداً دمث الأخلاق وذكي»[1].

لخص «ميجد» في هذه الفقرة القصيرة الصورة الإيجابية للشخصية الفلسطينية المثقفة من حيث المظهر الخارجي «ذو قامة طويلة».

وهذا يعطي دلالة من الهيبة، والإجلال، وكذلك من حيث الأخلاق، والسلوكيات الحضارية، فهو لطيف جداً، دمث الأخلاق، وذكي.

وفي رواية «فويجلمان»، وأثناء قيام «أروينج» (الذي يعيش في أوروبا) بزيارة للقدس، حيث يقوم بزيارتها لأول مرة، يحكي عن انطباعاته عنها، وعن لقائه

(١) ميجد، رواية رحلة ... ، مصدر سبق ذكره، ص٦٨.

بصديقه العربي في مدينة رام الله: حيث ورد ما يلي:

- «لكن المدينة (القدس) جميلة بشكل عام.

- يوجد بها إجلال «مملكة قديمة»، وخليط كبير مثير من الأنماط الإنسانية المختلفة، والغريبة، وفي الطريق من كنيسة المهد إلى باب يافا، لحق به فتى عربي جميل، تحدث إليه، ولم يفهم ماذا يريد، وظل يسير بجواره، حتى خرج من باب العمود.

- إنها مدينة جميلة «القدس»، ومثيرة للأعصاب.

- ضحك، لم يستطع النوم بالليل، وابتلع حبوباً مهدئة.

- وفي اليوم الأخير لإقامته هناك، قصى عدداً من الساعات في رام الله.

- أصابتني الدهشة في رام الله.

- وحكى أنه عند وصوله للقدس، اتصل تليفونياً بصديق له قد درس معه في «أكسفورد»، منذ عدة سنوات، وهو الآن يقوم بالتدريس بجامعة «بير زيت»، وهو رجل يتميز بسلوكيات عريقة.

- جاء إليه في الفندق، واصطحبه في سيارته إلى بيته، وهو بيت واسع يحيط به بستان كبير، ذكره بأشعار الشاعر لفارسي، حافظ شيرازي (حدائق الورود).

- وفي قاعة الاستقبال- حكى بابتسام- أن فيه ثمة طابعًا رومانسيًا، وكانت هناك سجاجيد حائط صغيرة معلقة، مطرز عليها منظومات شعرية، وحكم بالعربية، وبلغات أخرى[1].

- إن هذا اليهودي الذي يقيم خارج إسرائيل، يزور القدس لأول مرة، ويصف

(١) ميجد، رواية فوجلمان، مصدر سبق ذكره، ص٩١-٩٢.

انطباعه عنها، وهو انطباع يتداخل فيه ما هو سلبي، وإيجابي:

- جميلة بشكل عام، بها خليط كبير من الأنماط البشرية المختلفة، والغريبة، مدينة جميلة، ومثيرة للأعصاب.

- ولكنه عندما يقابل فتى عربياً، فإنه يصفه بأنه «جميل».

- وعندما يصل إلى رام الله، تصيبه الدهشة، دون أن يحدد .... لماذا؟

- ولكن هذه الدهشة، ربما يفسرها ما بعدها، عندما قام بوصف صديقه العربي، خريج جامعة اكسفورد.

«وميجد» يقدم لنا مرة أخرى، أنموذجاً لشخصية فلسطينية مثقفة، درست في جامعة أجنبية لها علاقة صداقة مع يهودي، أي أنه شخصية متفتحة، غير متعصبة، لا يعادي اليهود في العالم لمجرد أن بعضاً منهم استولوا على بلاده، وشردوا أهله، حولوه إلى لاجئ. إنها وجهة نظر الكاتب، حيث يرى أنها شيء من دماثة الخلق، التسامح للشخصية الفلسطينية، في قطاع عاش بالخارج، وتلقى تعليمه هناك، ثم عاد إلى وطنه يناضل بطريقته.

إن ميجد يضفى على هذه الشخصية الفلسطينية، هالات من الأصالة، والنبل، يستخدم لوصفها كلمات، مثل: تتميز «بسلوكيات عريقة»، وقد استخدم هنا في النص العبري للإشارة إلى العراقة كلمة «فكتورية»، إشارة منه إلى العصر الفيكتوري في التاريخ البريطاني، وربما لأنه عاش في إنجلترا، ودرس هناك، وتأثر بالسلوكيات الإنجليزية الأرستقراطية.

ولكن العراقة، والأصالة تنبع في واقع الأمر من الجذور، وهي الجذور الفلسطينية العربية، ولم ينكرها الكاتب، بل أشاد بها.

«وعلاوة على هذا، فإنه يقدم وصفاً للمنزل الفلسطيني، في رام الله، يتسم بنفس أصالة، وعراقة صاحبه، الذي ذهب إليه واصطحبه من الفندق، إلى منزله ذي الطابع العربي الأصلي، بيت واسع يحيط به بستان كبير، ذكره بأشعار الشاعر الفارسي، حافظ شيرازي «حدائق الورد»، وفي قاعة الاستقبال، حكى بابتسام، أن فيه ثمة طابعًا رومانسيًا، وكانت هناك سجاجيد حائط صغيرة معلقة مطرزة، عليها منظومات شعرية، وحكم بالعربية، وبلغات أخرى».

وهذه الأمور الإيجابية الواقعية من أديب يهودي، تشهد في طياتها، وبشكل ضمني عن أصالة الأرض الفلسطينية، وعروبتها، وجذورها على مدى التاريخ، وهذا في حد ذاته يناقض الأيديولوجية الصهيونية.

وإذا عدنا للوراء لنتعرف على الصورة، التي كان يرسمها الأدباء اليهود للمنزل الفلسطيني، وخاصة في الفترة ما قبل حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، نجدها صورة مخالفة، تماماً، للواقع، وغاية في السوء، والسلبية، متمشية مع ما كانت توصف به الشخصية الفلسطينية من سلبيات، آنذاك.

حيث يصف «س. يزهار»، القرى في قصة «خربة خزعة» ١٩٤٩، عندما كان موجودًا في السهل يستعد مع زملائه للهجوم على القرية، فيقول:

«أولئك العرب القذرون المتسللون لإحياء نفوسهم القاحلة في قراهم المهجورة.... أي دخل لنا، ولشبابنا، وأيامنا العابرة بقراهم المقملة، والمبققة، والخانقة.... هذه القرى الخاوية سيأتي اليوم الذي تبدأ فيه في لصراخ.... وفي عز الظهيرة، أو قبل الغروب، تبدأ القرية التي كانت قبل لحظة فقط، مجرد نسيج أكواخ مقفرة، يلفها صمت اليتيم، صمت قاس، ونحيب جنائزي يقطر القلب، تبدأ هذه

القرية الكبيرة البائسة، وتغني نشيد الأشياء، التي فارقتها روحها»[1].

وهنا، يبدو الاختلاف واضحاً بين الصورة السابقة، التي رسمها الأدباء الإسرائيليون للشخصية الفلسطينية من قبل، مقرونة بكل ما يشوهها، ويجعلها سلبية، مع وصف القرى، والمنازل بصفات سلبية، تتناسب مع أوصاف ساكنها من هؤلاء الفلسطينيين، وبين الصورة المعاصرة، والواقعية التي رسمها الكاتب «ميجد» للشخصية الفلسطينية المثقفة، والذكية، مع الوصف الإيجابي للمنزل الفلسطيني، بما يحمله من علامات للحضارة الإسلامية، والعربية، والرقي، بما يتناسب مع الشخصية الفلسطينية، ذات الأصالة، والجذور العريقة.

وعندما زار اليهودي الأوروبي «أروينج»، جامعة بير زيت مع صديقه العربي، الذي يقوم بالتدريس في تلك الجامعة، ورأى الطلاب، وأساتذتهم الشباب، أصدر حكمه على الفلسطينيين هناك، بأنهم يمثلون جذوراً، وأصولاً قوية، تميزهم من حيث الشكل والمضمون:

قال أروينج:

ـ إن في هؤلاء العرب أصالة عريقة، رآها عندما تمشى بين الطلاب بجامعة بير زيت، وعندما جلس مع هيئة التدريس الجامعية، من الشباب وجد أصالة د خلية، تشع من وجوههم، وأجسامهم[2].

جاءت الصورة التي رسمها ميجد لمجموعة المثقفين، والأكاديميين الفلسطينيين، صورة جديدة صادقة، وواقعية، لأنها تعبر عن المجموع، والغالبية وليست وقفاً على شخص فلسطيني بعينه، كان يدرس في الخارج، ونشأت بينه وبين

(١) صميدة، إستراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب..... مصدر سبق ذكره، ص١٣٥.

(٢) ميجد، «رواية فويجلمان» مصدر سبق ذكره، ص٩٣.

اليهودي «أروينج»، تلك العلاقة، ولكنه مجتمع كامل من الطلاب، وأساتذتهم من الشباب، وقد وصفهم جميعاً، بالأصالة العريقة، والأصالة الداخلية، التي تشع من وجوههم، وأجسامهم. ما يؤكد على الوصف الإيجابي للشخصية الفلسطينية، سواء من حيث المظهر الخارجي، أو من حيث الأخلاق، والسلوكيات.

ثانياً: الشخصية الفلسطينية البدوية:

تناول ميجد الشخصية الفلسطينية، بشقيها الحضري، والبدوي، وهما النمطان السائدان في المجتمع الفلسطيني.

وقد تناولنا النمط الحضري لتلك الشخصية في روايات ميجد، حيث أفرزت الملامح الإيجابية لها من الأخلاق، والثقافة، والذكاء، والتسلح بالعلم، وبالقدرة على الحوار، والمجابهة.

وقد تناول ميجد هذه الشخصية الحضرية في مواقعها، سواء بالداخل، أو الخارج.

أما بالنسبة للشخصية البدوية، فقد تناولها «ميجد»، في رواياته، من خلال التلاحم بين العرب واليهود، وخاصة بعد حرب ١٩٦٧، وذلك من خلال اللقاء بين العرب واليهود بعد احتلال أكبر رقعة من الأرض العربية، فأصبح هناك متسع من الأرض، ومتسع من التداخل بين العرب، أصحاب الأرض، والإسرائيليين المحتلين، «فتحت حرب ١٩٦٧، عالماً من المفاهيم، وهذا الإدراك، اللقاء في المناطق المحتلة، ومع سكانها. وكان من المفروض أن يحدث انقلاباً، الأرض واسعة، والعرب أبناء تلك الأرض يكتشفون الإسرائيلي الحقيقي، بعكس الصورة التي سمعوا عنها»[١].

(١) أمنون روبنشتين، «لهيوت عم حفشي»، دار نشر تشوكن، القدس - تل أبيب، ١٩٧٧، ص١٢٩.

وإذا كان التلاحم بين الطرفين «العرب واليهود»، في الأراضي المحتلة، قد أفرز صداماً، فقد أفرز كذلك نوعاً من العلاقات.

وفي رواية «عسائيل»، يتعرض «ميجد»، لهذا النوع من العلاقات، حيث يرصد التعاون بين بطل الرواية «عسائيل»، وبين «يوسف»، وهو شخصية بدوية، من خلال إقامته معهم في «الموشافاة»[1]، والمساعدة في الزراعة بكل مهارة، وأمانة، وصدق، وإخلاص.

كما جاء على لسام والدة «عسائيل»:

لست بمفردي، معي يوسف يساعدني- رفعت والدتي رأسها، قائلة:

«يوسف» شخص غالي، هو عربي من القبيلة البدوية المجاورة لنا، ولكنه تهود، أن هوَّدته، وهو بمثابة ابن لي، إنه مخلص، وأمين، وماهر في العمل.

أليس العمل في الزراعة، هو من الأمور التي تحط من قدر المهاجرين الذين جاؤوا إلى «الموشافاه»، أليست هذه وصمة عار، قولي أنت[2].

أضفى الأديب القاص هنا على الفلسطيني البدوي، صفات إيجابية هي بالفعل

(١) الموشافاة: عبارة عن قرية زراعية تقوم على الملكية الخاصة للأرض، والجهد الفردي في زراعتها (قرية المزارعين الأفراد)، وهي أقدم أنواع المستعمرات الزراعية في فلسطين، ولازمت بداية الهجرة المنظمة إليها، فقد أقيمت في السهل الساحلي بجوار المدن الكبرى، والموانئ الرئيسية، وتخصصت في زراعة الكروم، والموالح، وساهمت في توفير العمل لعدد لا بأس به من المهاجرين اليهود، كعمال يعملون لصالح كبار الملاك، وتحولت «الموشافوت» القريبة من المدن الرئيسية، إلى مدن صغيرة، مثل هرتزيليا، وبتاح تكفا، وريشون لتسيون، ورحوبوت، ونتانيا. وهناك المستعمرات الزراعية الجماعية لصغار الملاك (موشاف شيتوفي)، و المستعمرات الزراعية الخاصة بالملاك الصغار من المهاجرين (موشاف عوليم)، أيضاً.

(٢) أهارون ميجد، رواية «عسائيل»، دار نشر شوكن، القدس- تل أبيب ١٩٧٨، ص٢٥.

من صفاته في واقع الحياة، مثل النشاط، والإخلاص، والأمانة. وذلك على لسان والدة بطل الرواية، التي تحتضن «يوسف» الفلسطيني البدوي، اجتماعيًا، وتعتز به لكونه أصبح «متهوداً»، من وجهة نظرها.

ويمكننا القول هنا، بأن هذا «التهود» ليس دينياً، لأن التهود الديني له طقوسه، وشروطه، ومراسمه الخاصة، ولكن في هذه الحالة المقصود «بالتهود»، هو أنه أخذ أنماط سلوكهم، وعاداتهم، مما جعله، وكأنه واحد منهم، واحد من جيل المهاجرين المؤسسين، الذين يتمسكون بما يسمونه بمثل «الريادة»، أو «الطبيعة» في مجال العمل، مما جعله أفضل، وأحسن من المهاجرين الجدد، الذين ينبذون العمل في الزراعة، ويعتبرونه وصمة عار.

ويستمر «ميجد» في رواية «عسئيل»، في إبراز الشخصية الفلسطينية البدوية في صورة إيجابية، وذلك من خلال ما حدث في أعقاب حرب ١٩٦٧، من لقاء بين العرب أصحاب الأرض، وبين اليهود.

ولكن الصورة هنا مختلفة، تماماً، عن الصور السابقة، فهي عبارة عن حب متبادل بين بطلة الرواية «آية»، والشاب البدوي «مصطفى»، على الرغم من كونها متزوجة من «دوبيك» اليهودي.

ولابد لنا من وقفة هنا، للتعرف على خطوط هذه الصورة. لأنها صورة واقعية ممزوجة بشيء من الخيال والرمز، وهي في مجملها تعبر عن العلاقة بين الأرض وأصحابها، مرسومة بأسلوب الواقعية، عند «أهارون ميجد».

تتمثل عناصر تلك الصورة الواقعية في «آية»، التي أجمع النقاد على أنها ترمز «لأرض إسرائيل» (فلسطين)، وكذلك الشاب البدوي «مصطفى»، الذي يمثل الفلسطيني صاحب الأرض، حيث تتبلور الأحداث مشيرة إلى ضرورة الالتقاء بين

الأرض وأصحابها، كحب طبيعي على الرغم من السيطرة على الأرض، من طرف ثان يمثله الاحتلال الإسرائيلي، وتمثله في الحبكة القصصية، الزوج اليهودي «دوبيك».

وتمثل بطلة الرواية رمزيًا، المفارقة التاريخية، التي تنادي بإسرائيل الكاملة، المتمثلة في «أرض فلسطين»، وهنا أشار النقاد إلى أن حروفها الثلاثة بالعبرية، تشير إلى ذلك، فحرف الألف بداية كلمة (آرتس بمعنى أرض)، وحرف الياء(يسرائيل/ إسرائيل/ والهاء هشلياه/ الكاملة)، أي أن كلمة آية، وهي بطلة الرواية، تشير رمزياً إلى فلسطين، فعندما يشير الكاتب إلى ارتباط العربي بها، فهو ارتباط طبيعي، ويشير إلى الحق الطبيعي في الأرض الفلسطينية المحتلة، وهذا اعتراف من الكاتب بهذا الحق.

ومن خلال هذه العناصر، يريد الكاتب أن يبرز واقع الأمور، والأحداث المترتبة على الاحتلال بعد حرب ١٩٦٧، ووجود حالة من عدم الاستقرار في هذه المناطق، ويرمز إليها الكاتب بالحالة السيئة التي تعيشها «آية» (فلسطين).

وتتبلور هذه الأحداث جميعها في هذه الفقرة:-

- آية تخاطب زوجها اليهودي، وتقول:

- عزيزي «دوبيك»:

- لا تسامحني. لا تسامحني، أبداً.

- لقد سافرت لأني شعرت أنه من واجبي إنقاذ «مصطفى»، وربما هذا إنقاذ لنفسي».

- لا أعرف، أنا مشوشة، تماماً.

- سافرت بعد سفره بأسبوع، كنت كالمجنونة، لم أفكر، أنا أعلم أن هذا فظيع،

محظور، محظور، ولكن لم أكن أملك السيطرة على نفسي، وهنا كل شيء غريب، كما هو في الحلم.

- حلم سيئ...

- أتمشى في الشوارع، ولا أعرف أين أنا، استأجرت حجرة في فندق ما، صغير، قذر، ولا أستطيع أن أمكث به، حتى ولو ساعة واحدة، ولم أستطع حتى النوم. خرجت أتجول، وجلست في إحدى المقاهي، وانتقلت منها للثانية، أتحدث ولا أعرف ماذا.

- وبصعوبة أسمع المتحدثين معي.

- و «مصطفى»، أيضاً، لم أره، تقريباً..

- كن قوياً يا «دوبيك»...

- تذكر يا دوبيك أنك أقوى مني....

- وتذكر ما قلته لك في المساء الأخير، حافظ على نفسك...

- وفي غضون ذلك أنا ضائعة، وأنا ألقى عليك بالهموم...

- وتساقطت دموعي، وأنا أكتب لك هذه الكلمات ....

حبيبتك آية[1].

تزدحم هذه الفقرة بالدلالات، والرموز، التي تنطوي على خطوط واقعية ورمزية، أراد الكاتب أن يناقش من خلالها عدة قضايا، تتعلق بالأرض، والاحتلال، والعلاقة بين الأرض والمحتل، وكذا العلاقة بين أصحابها

(١) المصدر نفسه، ص٢٢٧.

الفلسطينيين، وإذا كانت «آية» تشير إلى تلك الأرض كما هو الرأي عند غالبية النقاد، فإننا نجد الكاتب يؤكد في النهاية على حالة عدم الاستقرار لها بين الطرفين، وفي غضون ذلك أنا ضائعة».

ولكننا في هذه الفقرة، من الواجب علينا، ونحن بصدد الشخصية الفلسطينية، النمط البدوي أن نتوقف عند شخصية «مصطفى»، فنجد أن الكاتب أضفى عليها لاهتمام، والإيجابية، مما جعل بطلة الرواية «آية»، تقول : إن إنقاذها لمصطفى، هو نقاذ لها شخصياً، وهذا يوضح مدى العلاقة بين الاثنين، وإلى أي حد يؤثر «مصطفى» على «آية»، التي تخطت كل المحظورات الاجتماعية، لكونها زوجة، المحظورات السياسية، وهو كونها تبحث عن فلسطيني، ولكنها لم تتمكن من لسيطرة على نفسها، وخاصة هذه التجربة الشائكة في البحث عن «مصطفى» لفلسطيني، وهجر زوجها اليهودي.

ويصور «ميجد» في رواية «فويجلمان»، الشخصية الفلسطينية في صورة إيجابية، تتسم بالمعرفة، والفهم لطبيعة الأرض، وتاريخها.

وهنا يأتي الصدق، والواقعية متلازمين مع هذه الصورة، لكون هذا الفلسطيني هو ابن هذه الأرض، وصاحبها، ومن هنا جاء اعتراف الكاتب بهذه الإمكانيات، وذلك على لسان الشاب «يو آب»، نجل «تسفى أربيل»، أستاذ التاريخ، وذلك أثناء حلاتها البحثية عن الآثار القديمة في فلسطين.

فيروي، قائلاً:

- بعد ذلك دق بعصاه على الحجارة، كما لو كان يبحث عن نفط في تكساس بالعصا النحاسية، التي في يده، وصرخ، قائلاً:

- يوجد هنا شيء ما.

ـ وعندما وقع بصره على فلاح يحرث في حقل لأسفل الطريق. فأسرع في النزول إليه، وشدني خلفه، وبدأ يستجوبه – وهو يجيد العربية- عن اسم المكان، تاريخه، والأساطير المرتبطة به[1].

في هذه الفقرة يشير الكاتب، رمزًا، إلى أن العربي لكونه صاحب هذه الأرض، فهو المنوط بها، فهماً، وعلماً، ومن هنا اتجه إليه أستاذ التاريخ بالاستفسار عن أساطير، وأصل، ومسميات هذه المنطقة، وخاصة أن المحتل اليهودي تعمد في معظم الأراضي الفلسطينية طمس المعالم القديمة، وأسمائها العربية.

ثالثاً: عادات وتقاليد العرب البدو في سيناء:

يصور «ميجد» في رواية «رحلة في أغسطس»، البيئة التي تمثل المكان لرحلة «دانيال»، وهي سيناء، بكل ما فيها من طرق، ومواقع عسكرية، ولا يغفل «ميجد» هنا، رصد العلاقات بين البدو واليهود، وتشابك العلاقات، من خلال الالتحام بين الطرفين، ومن خلال ذلك يتم رصد العادات والتقاليد لبدو سيناء، وكذا التعرف على وصف السيدة البدوية، وملابسها.

يصف «ميجد» الشاب البدوي، وكذلك البدوي العجوز، بصفات واقعية مناسبة، الشاب منتصب القامة، نحيف، عيناه بها حمرة، ويضع على رأسه كوفية.

والعجوز يجلس على بطانية، ومتجعد الوجه. والمرأة ترتدي ملابس سوداء، وتضع على وجهها برقعاً، تتدلى منه قطع النقود المعدنية الثقيلة.

وتأتي هذه الصفات من خلال الحوار التالي بين البدو على الطريق، وسيارة الرحلة، و «أندى» و «دانيال»:

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨.

- أبطئ السرعة يا «دانيال»، هذا بدوي يرتدي كوفيه...

- توقفوا بجواره...

- قال له «أندى»: نعم....

- قال: امرأة مريضة..

- يبدو البدوي الشاب منتصب القامة، نحيف، عيناه بها حمرة- سكون جاثم بالظل الضئيل، بجانب رجل عجوز، متجعد الوجه، يجلس على بطانية.

- نريد طبيبًا...

- بماذا تشكو؟

- تنتظر مولودًا... تتوجع كثيراً، حاول التوضيح، المرأة ترتدي ملابس سوداء، وتضع على وجهها برقعاً مثقل بقطع النقود المعدنية، تركن إلى شجرة، ويداها على بطنها المنتفخة جداً...وتخرج التنهدات من فمها، فسمات وجه العجوز المجعدة، موجهة إليهم.

- يتطلع لما سيتم...

- توجه «أندى» إلى «دانيال»، وسأله:

- هل هناك طبيب في بير تمادة؟

- توجد عيادة.

- تردد قليلاً، وبعد ذلك، قال:

- حسناً. فليدخلوا السيارة[1]..

(١) ميجد، رواية رحلة ...، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٢، ١٧٣.

في هذه الفقرة يصف الكاتب تعاون الطرفين (البدو، ومعهم السيدة المريضة الحامل، والرجل العجوز، والبدوي الشاب، ورموز الاحتلال الإسرائيلي، أصحاب السيارة، وهم في رحلتهم بسيناء، وهم (دانيال وأندى)، وقد تعاون الطرفان في حمل السيدة البدوية، ووضعاها في السيارة، وتحركا إلى العيادة في بير تمادة.

وخلال هذه الأحداث، يصف «ميجد» البيئة، التي جرت عليها الأحداث، فيذكر هنا الشجرة التي يجلس تحتها البدوي، وزوجته الحامل، والعجوز، والأرض الرملية يفترشون عليها البطانية.

ولا يغيب عنا في هذا السياق، سياسة المحتل باستيعاب أصحاب الأرض بمثل هذه التصرفات، التي تبدو غاية الإنسانية، والتعاون، لخلق نوع من الود بين المحتل، وأصحاب الأرض، وهذه دوماً سياسة المستعمر.

وفي هذه الفقرة، يستمر الكاتب في وصف أحداث الرحلة، والبيئة السيناوية، من شجر، ورمال، وحيوانات، تتمثل في إضافة الحمار، وملازمته للبدو في سيناء.

وتروي هذه الفقرة أحداث الرحلة:

خرج أندي من السيارة، اقترب البدوي من الشجرة، رفع المرأة من رقدتها، رفع البطانية من فوق الرمال، قال شيئًا ما للعجوز، وقال بعض كلمات الشكر لأندى وتوجه لفك الحمار.

أشار «أندى» للشاب البدوي بحركة من يديه لتحريك المرأة للأمام.

حرك الشاب البطانية، وعندما فتح «أندى» باب السيارة، أراحها على المقعد الخلفي، وبعد ذلك ساعدها الاثنان على الدخول إلى الداخل، وجلست بصعوبة على جزء من المقعد، وهي تئن أنات قصيرة، مثل موسيقى الصلاة، وحلف اليمين،

وجلس زوجها بجوارها.

ـ قال أندى: وهو داخل السيارة، حتى لا تلد في السيارة[1].

ـ وتستمر الرحلة إلى «بير تمادة»، ويستمر الحوار الذي أصبح الشاب البدوي طرفاً فيه، على النحو التالي:

ـ وبعد ذلك، وأثناء السير، نظر «أندى» للخلف، وقال:

ـ من أين أنتم؟

ـ أجاب الشاب البدوي: نحن من عرب الصانع، وكان نور عينيه خافتاً، كما لو كان ضوء الشمس جعله مظلماً، وأسنانه مغطاة بجير لونه أصفر.

ـ قال «أندى»: لماذا لم تولدوها في الخيمة؟

ـ وعندكم النساء يلدن بمفردهن.

ـ قال: منذ عام مات لنا مولود، وهي مريضة جداً، ونخشى من تكرار حدوث ذلك، الآن[2].

ـ ويستمر الحوار مع الشاب البدوي:

ـ ألم تذهبوا إلى قبر النبي للتوسل؟

ـ نعم..نعم.....إن شاء الله. وربنا يساعدها....

ـ هل قدمتم ذبيحة؟

ـ نعم.....إن شاء الله...

ـ تطلع «أندى» للمرأة المنكمشة في نفسها، تنصهر بأنفاس قصيرة، مثل الغلاية.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٧٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ـ وتطلع إلى مجموعة العملات، التي تزين حجابها، وتتدلى بثقلها من أنفها لأسفل.

ـ تطلع إلى عملات كثيرة، قلادة خضراء، وقلادة حمراء، كانتا مربوطتين على جبينها.

ـ وقال: هل هذا حجاب؟

ـ قال البدوي: إن شاء الله، إن شاء الله، يكون خيرًا، يكون خيرًا...

ـ شجعه أندى، وقال: يكون ولدًا.

ـ وتوجه «أندى» بحديثه إلى رفيقه «دانيال».

ـ وقال: هؤلاء لا يلدن بمفردهن، توجد سيدات مسنات تساعدهن، حيث إن الواحدة من الصعب عليها أن تلد بمفردها.

ـ (يربطون رجليها بالشجرة متباعدتين، وترقد والرأس لأسفل، والعجوز تضغط على بطنها).

ـ هل رأيت ذلك؟

ـ أنا لم أر ذلك؟ لكن البدو الذين يأتون إلينا يحكون.....

ـ (والمولود يغسلونه ببول الجمال ضد عين الحسود، من يدري ربما هذا يساعد على ذلك، ويضعون رأس هدهد ميت على رأس الولد لطرد الشياطين).

ـ ابتسم[1]..

تنطوي الفقرات السابقة على عدة محاور، أراد الكاتب إبرازها من خلال الحوارات الطويلة بين أعضاء الرحلة (دانيال- أندى)، وبين البدو من عرب سيناء (الزوج الشاب- الزوجة الحامل- البدوي العجوز).

(١) المصدر نفسه، ص١٧٣- ١٧٤.

١ - العلاقة بين الطرفين:

حيث تقدم البدوي الشاب للسيارة، ولراكبيها اليهود بالطبع، طالباً المساعدة دون خوف، أو تردد، وفي المقابل نجد الاستجابة لذلك.

٢ - الصورة الواقعية للشخصية البدوية:

البدوي الشاب، وهو الزوج (منتصب القامة- نحيف- عيناه بهما حمرة).

(العجوز يجلس على البطانية، وتبدو التجاعيد على وجهه).

(الزوجة الشابة ترتدي الملابس البدوية السوداء، وتتزين بالقلائد، والحلي، وقطع العملات الذهبية، التي تتدلى على الوجه).

٣- العادات والتقاليد البدوية:

نحر الذبائح، والتقرب لأولياء الله الصالحين...

الأحجبة والتمائم...

غسل المولود ببول الجمال لمنع الحسد..

وضع رأس هدهد ميت على جبين المولود لطرد الشياطين.

وحرص الكاتب على إبراز عادات البدو في الولادة، بمساعدة سيدة عجوز لها خبرة في ذلك، وتطور هذه العادات حيث التوجه للطبيب لغرض الولادة، خوفاً من تعرض الجنين للموت.

٤ - إلمام اليهود بنوعية عادات وتقاليد البدو:

حرص الكاتب على إبراز إلمام (دانيال وأندى) بعادات وتقاليد البدو، من خلال ما سمعوه منهم، وذلك من خلال الحوارات، التي جاءت في الفقرات السابقة على

لسان «أندى»، و «دانيال».

وإذا كانت الحوارات بين «أندى»، و«دنيال» الإسرائيليين، وبين البدو حول العادات والتقاليد البدوية، قد أفرزت دراية اليهود بهذه العادات، ومنها نحر الذبائح والتبرك بقبور أولياء الله الصالحين، فإن هذه العادات لها ما يماثلها عند اليهود، فمنهم طبقات شعبية تحرص عى زيارة قبور ما يسمى بالصديق [1] للتبرك، ولنفس الغرض الذي يزور من أجله البدو أضرحة أولياء الله الصالحين.

وتتجلى أصداء السيرة الذاتية للكاتب «أهارون ميجد»، في رواية «رحلة في أغسطس»، ففي الفقرات السابقة التي تنول فيها الشخصية البدوية، والبيئة في سيناء، وقام برصد العادات، والتقاليد البدوية، بصورة صادقة، ومعبرة عن الواقع، وقد استخدم بعض الكلمات، والتعبيرات العربية، مثل: كوفية، ذبيحة، قبر النبي، إن شاء الله.

وهذا بالطبع نابع من قربه الشديد من العرب، وتلاحمه معهم أثناء عمله في ميناء

(١) الصديق عند اليهود: كان أبناء الطبقات الشعبية في المجتمع اليهودي، يؤمنون بأنه بمقدور الأولياء الإتيان بالمعجزات، بل وأنه بمقدورهم الإتيان بامعجزات بعد موتهم، أيضاً، وكانت زيارات القبور تعد بمنزلة فرصة للالتقاء بأفراد العائلة، وكان زوار القبور يضعون بجوار قبور الصديق، في أحيان كثيرة، زجاجات تحتوي على مياه، أو زيت، بغرض أن تحل عليهم بركة الصديق، وكان من بين عادات يهود المغرب، قص شعر الطفل للمرة الأولى بجوار قبره، إيماناً، بأن ذلك سيكتب للطفل النجاح في المستقبل، وكان من بين عاداتهم بيع الشموع بأسعار باهظة بجوار هذه القبور، وكان اليهود عادة ينشدون القصائد، ويرقصون عند إشعال الشموع بجوار قبر الصديق، أما في مصر، فقد أصبح قبر الحاخام، يعقوب أبو حصيرة، الذي دفن في دمنهور، عام ١٨٨٠، مزاراً ليهود مصر.
للمزيد راجع: صموئيل اتنجر، اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠) (ترجمة جمال الرفاعي)، عالم المعرفة (١٩٧) الكويت، مايو ١٩٩٥.

حيفا، في فترة شبابه، والتحاقه بمستوطنة «سيدوت يم»[1]، حيث يقول :«كان العمل شاقاً، ولكن بالنسبة لي كانت هذه الفترة، فترة اكتمال القوة، والخبرات التي حفرت في نفوسنا بعمق، وأثرت في تكويني. كانت تلك هي أول مقابلة مع العالم الإنساني المليء بالألوان، وبمختلف الأنواع من المجموعات الاجتماعية، التي تختلف عما عرفته في طفولتي: مع عرب، ويهود من الطبقة الكادحة، مع الكتبة الإنجليز، والبوليس الذي يحكم المرفأ البحري، عمليات الإشراف من كبرى الشركات، بحارة من الدانمارك، وفنلندا، واليابان، ومصر، وروسيا»[2].

وبعد أن شغل «ميجد» منصب الملحق الثقافي في سفارة إسرائيل بلندن، لمدة ثلاث سنوات، عاد لإسرائيل عام ١٩٧١ ، وعمل صحفياً في جريدة «دافار»، ومن خلال هذا العمل قام بجولات واسعة في جميع البلاد، أتاحت له التعرف على جميع الأنماط البشرية، وبالطبع البدو، والعرب بمختلف أنماطهم الاجتماعية.

وعن هذا، يقول:

«عندما عدت لإسرائيل بعد ثلاث سنوات، كانت صحيفة «لامرحاف»، قد توقفت، فعملت في صحيفة «دافار»، حيث كانت صحيفة يومية للأخبار، «لاتحاد

(١) التحق «أهارون ميجد» بمستوطنة «سيدوت يم»، وأصبح عضواً نشطاً فيها خلال الأعوام ١٩٣٩-١٩٥٠، وعمل خلال تلك الفترة بميناء حيفا، ومستوطنة «سيدوت يم»، كانت في بدايتها صغيرة، وفقيرة، تضم حوالي سبعين عضواً، وكانت الإعاشة في خيام، وأكواخ على رمال خليج حيفا، وكان الهدف من إنشائها، هو تحويلها إلى حقول، أو مزارع سمكية. وكان الإبحار يتم من هناك للعمل في أحواض السفن بميناء حيفا، وقد تطورت فيما بعد من حيث المساحة، والنشاط، وعدد الأعضاء.

(2) Eden. Vivian (Translated from Hebrew) : AHARON MEGGED (1920) CONTEMPORARY AUTHORS AUTOBIG RAPHY SERELS VOLUME 3 1989 P. 149.

العمال»، ككاتب عمود، وكان عمودي يظهر مرتين في الأسبوع، يومي الثلاثاء والجمعة، وكنت حراً في الكتابة حول أي موضوع أرغب فيه، سياسة، موضوعات اجتماعية، الفنون، وأجريت سلسلة من اللقاءات مع أشخاص عاديين، سافرت في شتى أنحاء الدولة، وأجريت لقاءات مع الفلاحين، وفي الاستيطان البعيد، مع عمال الصناعة، ومع الفلاحين من العرب، والدروز، وربات البيوت، وأصحاب متاجر، وسائقي عربات كارو، ومع مهاجرين جدد، وكنت أعتقد أن لديهم ما يقولونه أكثر إثارة مما يقوله المشهورون، والمثقفون الذين كانت تستضيفهم وسائل الإعلام، يومياً، وكان قراء الصحافة يعتقدون نفس الاعتقاد، أيضًا، ولذلك فإنه في أعقاب كل مقابلة كنت أتلقى عشرات من الرسائل المؤثرة، وقد واصلت الكتابة في هذا العمود لمدة اثنى عشر عاماً، وجمعت هذه الأعمدة في كتاب «منطقة الضوضاء»[1].

وبهذا تعمقت الخبرة والحنكة لدى «ميجد» بكل الأنماط البشرية، وبالطبع الفلسطينية، والعربية، والبدوية، وظهر ذلك واضحاً تعكسه أعماله الأدبية من خلال ما رسمه من صور واقعية عن الشخصية، والبيئة، ومن خلال ذلك كله، وما يهمنا هو انحيازه للإنسان الفلسطيني في قضيته، وحقه في أرضه المحتلة، وهذا ما ستفصح عنه باقي أعماله فيما بعد.

رابعًا: القضية الفلسطينية في روايات «ميجد»:

إذا كان «ميجد» قد تناول الشخصية الفلسطينية كملمح من ملامح الواقعية الواضحة في إنتاجه الروائي، باعتبارها كما أشرنا من قبل جزءاً من البيئة، التي يعايشها كإسرائيلي يرصد الواقع، والأحداث، والشخصيات، والبيئة، فإن «ميجد» لم يفته أن يتعرض، وبإسهاب، وبصراحة إلى القضية الفلسطينية، باعتبارها محوراً

(1) EDEN- VIVIAN OP.CIT P 126

رئيسياً من المحاور، التي تؤثر تأثيراً فعالاً على المجتمع الإسرائيلي، وعلى حاضره، وعلى مستقبله، وذلك على اعتبار أن هذه القضية هي لب الصراع العربي - الإسرائيلي، منذ بداياته، وحتى الآن.

إن «ميجد» في بدايات تناوله لهذه القضية يصك اصطلاحًا، ربما كان الأول من نوعه في الأدب الإسرائيلي المعاصر، له مدلول سياسي واضح، وهو مصطلح «فلسطيني»، اعترافاً، وإقراراً بالهوية الفلسطينية، والأرض الفلسطينية المحتلة، وهذا يعطي بعداً سياسياً للاعتراف بالحقوق الفلسطينية في الأرض المسلوبة.

ويجسد «ميجد» هذا المصطلح الجديد «فلسطيني»، في روايته «رحلة في أغسطس»، في الفقرة التالية:

«تذكر الدكتور خليل بدران: إنه فلسطيني من الكويت، من مواليد يافا، رجل ذو قامة طويلة، لطيف جداً، دمث الأخلاق، وذكي.

كيف حالك اليوم دكتور ليفين؟ هل كل شيء على ما يرام؟

في الممر الواسع، الذي يلمع كالمرآة في معهد هيوز، مع انحناءة خفيفة، وبابتسامة جذابة، تقول:

هنا مقاطعة أكاديمية، ولا يتحدثون في السياسة، بالرغم من أن كل واحد منا يعرف ما يضمره الآخر في قلبه، ومع كأس «السكوتشى» في اليد، بجوار البار في نادي هيئة التدريس، من الأجدر التحدث بلطف «تنطوي على الكثير جداً من أساليب تغطية، وتمويه المدرسة البريطانية في أكسبريدج، أكثر من الانفتاح الشائع في الكلية الأمريكية الجنوبية، »حول أي موضوع في العالم، ولاسيما الدين –مثل تحريم الشراب، والذي يتجاوزه، وهو كمسلم، وتحريم أكل غير المحلل، الذي يتجاوزه محدثه اليهودي– ولكن ليس عن السياسة: وغداة حفل التوقيع على اتفاقيات كامب

ديفيد، في حديقة البيت الأبيض، وبينما كل أمريكا تتطلع إلى الابتسامات المدهشة، وإلى تشابك الأيدي الثلاثة. تتكرر الانحناءة المهذبة بالمعهد، ولكن هذه المرة دون توقف للسؤال عن حالي» [1].

وإذا تأملنا الفقرة السابقة لنحلل ما ورد فيها، لتوصلنا إلى أن الأديب القاص، حدد الانتماء الأصلي للدكتور، خليل بدران، وذلك بالإشارة إلى أنه «فلسطيني»، ومن (مواليد يافا)، وهنا نجد اعترافًا واضحًا، لأول مرة في الأدب الإسرائيلي بالهوية الفلسطينية، للدكتور خليل بدران، أولا، ثم بالهوية الفلسطينية ليافا.

والجدير بالذكر أننا إذا عدنا إلى السيرة الذاتية «لأهارون ميجد»، لوجدنا أن مدينة يافا مترسبة في ذاكرته، وفي وجدانه، فهي أول مدينة وطأتها قدماه عندما وصل إلى فلسطين، وهو في الخامسة والنصف من عمره (١٩٢٦)، وعلاوة على ذلك، فإن أول يد حملته من السفينة التي كان يقلها مع أسرته إلى فلسطين، كانت يد بحار فلسطيني، وصفه بأنه «قوى البنية».

وهنا، تتجلى أصداء السيرة الذاتية لكاتب، معبرة عن المكان، وهو «يافا»، وعن الإنسان، وهو الفلسطيني الذي كان أول ما شاهدته عيناه قبل أن تحط قدماه أرض فلسطين.

وعن ذلك، يقول:

«في أبريل ١٩٢٦ ، وصلت إلى يافا على ظهر باخرة، وكان البحر هائجاً، ورست الباخرة بعيداً عن الرصيف، وحملني بحار عربي قوي البنية، بساعديه من فوق سطح الباخرة، ووضعني داخل قارب صغير، حيث نزلنا على رصيف الميناء»[2].

(١) ميجد ، رواية رحلة..، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨، ٦٩.

(1) EDEN. VIVIAN. OPCIT .P 143.

ومن المعروف أن يافا مدينة عربية فلسطينية ساحلية قديمة، بجوار تل أبيب، وهي الآن، جزء من دولة إسرائيل، ومن حدودها منذ عام ١٩٤٨.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو:

هل أراد «ميجد» أن يذهب بذلك إلى الإقرار بحق الفلسطينيين في يافا؟ وخاصة أن معظم سكانها من العرب، ولا زالت بيوتها محتفظة بطابعها العربي القديم، وتقطنها الأسر والعائلات الفلسطينية، حتى اليوم، ربما كانت الإجابة على هذا التساؤل، هي بالإيجاب، استناداً إلى ما يمكن أن نفهمه من مظاهر النص، الذي يوحي بالاعتراف بعروبة يافا، وبأنها مدينة فلسطينية، وليست إسرائيلية، ولكن «ميجد» هو أولاً، وقبل كل شيء صهيوني، وإذا كانت صهيونيته ذات التوجه اليساري تتسم في بعض معالجاتها للقضية الفلسطينية بالنزعة الأخلاقية والإنسانية، وتدعو إلى ضرورة حل هذه القضية عن طريق إعادة الضفة الغربية وغزة للفلسطينيين، ومنحهم حق تقرير المصير...إلخ.

إلا أن هذه الصهيونية اليسارية لا تسقط أبداً من حساباتها المصلحة القومية لإسرائيل، وضرورة الحفاظ على الحد الأدنى من المشروع الصهيوني، بما يكفل وجود واستمرار الدولة الإسرائيلية، كما أنهم، أيضاً، يرون من ناحية أخرى أن الاحتفاظ بهذه المناطق مع سكانها العرب، إنما يحول إسرائيل إلى دولة مزدوجة القومية، وهو أمر غير مرغوب، وعلى ضوء هذا فربما كان الأصح هو أن نبحث عن التفسير الصحيح لهذه العبارة، ليس في ظاهر النص، وإنما في تصريح لميجد عبر فيه عن وجهة نظره السياسية تجاه هذه المشكلة:

حيث قال:

«في الواقع أنه من المهم أن نتحدث مع الفلسطينيين، ونتحدث مع من

يختارونهم، فإذا اختاروا أشخاصاً من منظمة التحرير الفلسطينية، يكون الحديث معهم. لا يجوز لنا (إسرائيل) أن نمنح أنفسنا حق الاختيار نيابة عنهم.

ستكون النتيجة في نهاية الأمر، أياً كانت هي تقسيم الأراضي، ومنها ما يخص السكان اليهود القدامى «اليشوف».

وإذا كان من حق اليهود العيش في شتى أنحاء العالم، فلماذا لا يعيش اليهود في الخليل، أيضاً، تحت سلطة فلسطينية، إن الحل الكونفدرالي يبدو لي واقعياً»[1].

وهنا يؤيد «ميجد» الحل على النحو التالي:

١- أن يتم التفاهم من جانب إسرائيل مع منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها الممثل الشرعي الذي اختاره الشعب الفلسطيني ممثلاً له.

٢- تقسيم البلاد بين الفلسطينيين والإسرائيليين، بما في ذلك مناطق من الاستيطان اليهودي القديم في فلسطين، وهو ما يسمى «باليشوف».

٣- إمكانية أن يعيش اليهود كما يعيشون في سائر أنحاء العالم، في ظل دول كثيرة في أماكن تحت سيطرة الفلسطينيين.

٤- تبني الحل الكونفدرالي بين إمرائيل ودولة فلسطين.

وتبنى «ميجد» في رواية «رحلة في أغسطس»، اتجاهًا ينادي بأحقية الفلسطينيين في استعادة أراضيهم، والعيش في أمن، وسلام، والمناداة بالعدل تجاه قضيتهم، وذلك من خلال الحوار في الفقرة التالية:

حسن أنت صادق، وأنت صادقة... حسن جداً...

---

(١) هدرى رماج، مع أهارون ميجد (كلبود يوم هعصما وؤت)، يديعوت أحرونوت، ملحق السبت، ٢٣/ ٩/ ١٩٩١، ص ١٧.

وجاء الآن دور سونيا في الحديث، وقد احمرت وجنتاها البيضاوتان بغضب، فقالت:

«لكني لست أفهم لماذا يتحدثون هكذا كثيراً عن حقوق العرب؟

توجد معنا بالمكتب إحدى الشابات «موظفة بالبلدية»، اسمها «نيرة»، وكانت «بالكيبوتس» ، وهي بالطبع لطيفة جداً. إنها تتحدث طوال الوقت عن الظلم الواقع على العرب، وبحماس على هذا النحو، وبغضب مماثل عن أنهم يأخذون أراضيهم، ويزجون بهم في السجون، ويطلقون عليهم النيران، ولا يمنحونهم الاستقلال.

وقد قلت لها : يا «نيرة» لماذا أنت متحمسة إلى هذا الحد لهذه الأمور كما لو كانت هذه هي كل حياتك؟ أليس هناك من هو يحارب في سبيل هذه الحقوق الخاصة بهم؟

هناك ٥٠٠ مليون مسلم، وكل الدول الشيوعية، وكل اليسار، والليبراليين، والكاثوليك، والبروتستانت، دون استثناء.

ونحن (إسرائيل)، من يدافع عنا؟

نحن، فحسب....

وعندئذ، تقول: لكوني يهودية بالذات، فأنا أحارب في جانب العدل.

وقلت لها: فلتحاربي قليلاً، أيضاً، إلى جانب العدل الخاص بك.

لماذا لا تحاربين من أجل هذا؟

وعندما أرى أن هناك كثيرين على شاكلتها، وأنهم يثيرون ضوضاء كثيرة من هذا الصنف، ويكتبون في الصحف، ويتحدثون في الإذاعة والتليفزيون، ويقومون بالمظاهرات ضد الحكومة، وبالدعاية في الخارج، في أمريكا، وفي إنجلترا، وألمانيا.

«حسب رأيي هذا شيء لا أخلاقي»[1].

يعرض الكاتب في هذه الفقرة، وجهتي نظر حول العدل:

الأولى: تتحدث عن العدل الخاص بأحقية العرب في استعادة أراضيهم، والعيش في دولة مستقلة.

والثانية: تتبنى العدل الخاص بالإسرائيليين، العدل الذي لا يعنيه العدل الخاص بالآخرين وهم الفلسطينيون.

وقد ورد هذا الحوار على لسان شخصيتين:

الأولى: هي «نيرة»، عضو المستوطنة «التي تتحلى بقيم، ومبادئ، وتدافع عن العدل بمفهومه المطلق، بما في ذلك العدل الخاص بالفلسطينيين».

والثانية: هي «سونيا»، الرافضة للاعتراف بكل تلك الحقوق، وترى أن مثل هذه الأمور، والتعبير عنها، والمناداة بها، شيء لا أخلاقي من وجهة نظرها.

وتلك الصورة التي رسمها «ميجد» في الفقرة السابقة، تعد صورة واقعية صادقة، تعبر عما يدور في المجتمع الإسرائيلي، من انقسام حول مفهوم العدل، والحقوق، ويرى القاص أن الذين ينحازون إلى رؤية العدل الخاص بالفلسطينيين هم كثرة، أو غالبية في المجتمع الإسرائيلي

حيث يقول: «هناك كثيرون على شاكلتها»، وهم «يدافعون عن العدل» بالمظاهرات، ومطالبة الحكومة بسياسة عادلة، ومن خلال الدعاية بالداخل، والخارج، والأحاديث الإذاعية، والتليفزيونية.....،إلخ.

ويرى الناقد الإسرائيلي «حايبم شوهام»، بما يفسر مغزى لبعد العقائدي في

(١) ميجد، رواية رحلة..، مصدر سبق ذكره، ص٨٩.

الحوار السابق، من خلال الشخصيات التي دار بينها الحوار، على ضوء انتماءاتهم العقائدية، إن «ميجد» وضع خطاً فاصلاً واضحاً بين الرجال الذين يعيشون على ضوء قيم «حركة الشباب الطلائعي»، ويجسدون ذلك في الحياة الواقعية، وبين الرجال الذين يرون غرابة في تلك الأفكار، ويعايشون تلك الأفكار، كسكان مدينة. إن تلك المساحة موجودة بتوسع في أدب «أهارون ميجد»، وانعكست على فترة زمنية، وعلى الشباب الذين يعيشون «بالكيبوتس» هذا من ناحية، ومن الناحية الثانية المتخرجين من جيل الآباء الذين يعيشون بالمدينة، وتجد تلك المجموعتين أن الإنسانيات تحدد مسئوليتهما، وتميزهما»[1].

وهكذا، فإن شخصيات «ميجد» تعبر عن تلك القيم، والمبادئ، التي تدافع عن الحق العادل للعرب، وتسعى لإبراز البعد الإنساني في القضية الفلسطينية.

وإذا كان «ميجد» قد أورد القيم، والمبادئ العادلة، على لسان إحدى شخصياته، وهي بالتحديد عضو «كيبوتس»، فهذا أمر مقصود، وليس عفوياً، لأن «ميجد» سيبدي اهتمامًا خاصاً «بالكيبوتس»، وأعضاء «الكيبوتس»، لأنه هو شخصياً كان عضو كيبوتس، وعضوًا بارزاً في «منظمات الشباب»، التي شكلت وجدانه بتلك القيم والمبادئ، التي عبر عنها في رواياته.

ويرصد «ميجد» في روايته «رحلة في أغسطس»، أبعادا أخرى في هذه الفقرة.

«بعد ذلك بعدة أسابيع، وفي المساء، وفي منزل البروفيسور مونتوجمري، بينما توجهت إليه عنات، التي لديها موانع أقل مما لديك، قائلة:

(١) حاييم شوهام، الصراع والواقع في الدراما الإسرائيلية أبحاث في روايات، شامير، وناتان شاحام، وأهارون ميجد، وموسونيزون، وألوني، القسم الثالث الدراما عند أهارون ميجد، جامعة بار إيلان- تل أبيب، ١٩٧٥، ص١١٧ .

شكراً لك دكتور بدران، فهذا الأمر ينطوي على الأقل على خطوة واحدة نحو السلام المأمول.

قال: «وقد احتقنت عيناه، وبدت وكأنها منتفخة، وأصدرت نوعاً من الاحمرار في بؤبؤ عينيه البني، أنها خطوة واحدة للوراء يا سيدتي، فعندما يبرم قائد الجبهة اتفاقاً مع العدو من أجل إنقاذ لواء واحد، ويهمل بقية الجيش، فإن هذا يسمونه بشكل عام خيانة.....أليس كذلك؟

وقد نطق بالخاتمة «أليس كذلك؟ وهو يضحك من أجل أن يلطف من تأثير النبرة الحادة، التي خرجت عن حدود التقاليد المهذبة في مأدبة لطيفة- على السامعين، خيانة؟ لفظت عنات، وكبتت غضبها في داخلها.

لكن الدكتور بدران الجالس على كرسيه أشعل ولاعته- فأضفى لهيبها متلألئا، شبه غامض على جلد وجهه البني- وبعد أن نفخ سحابة دخان لأعلى، قال بابتسامة غلفها قدر ليس قليل من السحر: سمعت إنكم جددتم برج الساعة بشارع بوستروسر أمام الشرطة. فعلتم خيراً لأنه كان في حالة سيئة أقرب للانهيار- أصدقاؤنا الأمريكيون ليس لديهم مشاكل من هذا النوع، لأنه ليس لديهم آثار .

وضحك للمحيطين به ضحكة ساخرة، أسرت لبهم جميعاً، إنه السحر العربي...لأحد أبناء المنفى العربي» [1] .

هذه الفقرة هي جزء من المنظور الواقعي المرتبط بالتاريخ المعاصر، وتفسر على ضوء موقف بعض الرافضين من العرب، ومن بينهم بعض الفلسطينيين، لاتفاقية كامب ديفيد، التي حصلت مصر بمقتضاها على أرضها المحتلة «سيناء»، وكيف

(١) ميجد ، رواية رحلة..، مصدر سبق ذكره، ص٦٩.

نهم اعتبروا أن هذا السلام بين مصر وإسرائيل، سلاماً منفرداً، حصلت مصر بموجبه على ما يخصها، وتخلت عن سائر الأراضي المحتلة، بما في ذلك الضفة الغربية، وغزة، بالذات، لأن مصر كانت الطرف الرئيسي دوماً في الدفاع عن الحقوق الفلسطينية، واعتبروا ذلك بمثابة خيانة، ومن هنا، فقد استشهد الدكتور خليل بدران، بالمثال الخاص بقائد الجيش، الذي يضحي بسائر الجيش، من أجل إنقاذ لواء واحد، واعتبر أن ذلك هو الخيانة بعينها.

وميجد في هذا السياق يعرض ما حدث تاريخياً، عام ١٩٧٩، بعد زيارة السادات للقدس، وإبرام معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، ومقاطعة الدول العربية لمصر، واتهامها بالخيانة، والتفريط في حقوق العرب، وفي التخلي عن تبني الدفاع عن استرجاع باقي الأراضي المحتلة، وذلك على لسان خليل بدران الفلسطيني، دون أن يسرد الوقائع كما حدثت بتفاصيلها، ولكن الأديب لم يشر من قريب، أو بعيد، إلى أن اتفاقية كامب دافيد، كانت تتضمن ضمن نصوصها جزءاً خاصاً بالمفاوضات حول الضفة الغربية وغزة، كانت ستؤدي لقيام دولة فلسطينية خلال خمس سنوات، لولا أن الفلسطينيين تحت الضغوط من الدول العربية المتشددة، مثل العراق، وسوريا، وغيرهما، رفضوا هذا، مما أضاع عليهم فرصة تاريخية لم يحصلوا إلا على أقل منها بكثير، في مؤتمر مدريد، ثم في اتفاقية غزة وأريحا أولاً، ثم في اتفاقيات «أوسلو أ»، و «أوسلو ب»، في الأعوام ١٩٩٣ - ١٩٩٥.

وفي الجزء الأخير من هذه الفقرة «ضحك للمحيطين به ضحكة ساحرة أسرت لبهم، جميعاً، إنه السحر العربي...لأحد أبناء المنفى العرب».

نلاحظ أسلوباً جديداً على الأدب العبري المعاصر في هذه الفترة، في وصف العربي، يذكرنا بكلمات كان يوصف بها العربي، في فترة الرومانسية الأولى للأدب

العبري الفلسطيني، حين كان يوصف العربي الفلسطيني بأنه يمثل سحر الشرق.

إن «ميجد» يصف ضحكة خليل بدران الفلسطيني، بأنها «ضحكة ساحرة»، ويرى أن هذا الفلسطيني ليس ممثلاً لسحر الشرق على الإطلاق، بل إنه ممثل «للسحر العربي، تحديداً، وهذه الأوصاف هي أوصاف إيجابية.

أما الأكثر إثارة في هذه الفقرة الصغيرة المليئة بالدلالات، فهو ذلك الوصف الذي يسبغه «ميجد»، على خليل بدران الفلسطيني، وهو أنه «أحد أبناء المنفى العرب».

فمن المعروف، أن كلمة «المنفى» تستخدم من قبل الأيديولوجية الصهيونية للدلالة على الوجود الاضطراري لليهود خارج فلسطين، كما يزعمون، وبالتالي فإن مدلول الكلمة ينطوي على حتمية العودة إلى المكان، والأرض، التي يرون من منظورهم الديني، والتاريخي، أنها وطنهم.

وقد كانت الهجرة اليهودية لفلسطين بموجاتها المختلفة، هي الشق العملي، والتنفيذي لمقولة العودة، وفقاً للأيديولوجية الصهيونية.

وهكذا، فإنه عندما تطلق هذه الكلمة لوصف الفلسطيني، فإنها تشكل اعترافًا بحق الفلسطيني في العودة لوطنه في فلسطين، وهو ما يعد بمثابة محاولة لإسباغ نوع من «الصهيونية الفلسطينية»، على الواقع الفلسطيني، وخاصة بالنسبة لأولئك الذين طردتهم، وشردتهم الصهيونية من أراضيهم، ومن وطنهم، وأجبرتهم على الحياة في الغربة، وفي الشتات «المنفى»، وفقاً للمصطلح الصهيوني الدارج، والذي لم يكونوا يستعملونه من قبل، إلا لتوصيف حالة اليهود، فحسب.

وفي فقرة أخرى، من نفس الرواية «رحلة في أغسطس»، يؤكد الأديب القاص على جرأة الفلسطيني، دكتور خليل بدران، على توجيه النقد لسياسة إسرائيل،

كدولة محتلة، من خلال ما تقوم به من مصادرة الأراضي العربية، وأساليب البطش، والتنكيل بالعرب، أصحاب الأرض، وذلك من خلال ابتسامة تأخذ بقلوب جميع الحاضرين:

فقد جاء في هذه الفقرة:

ورويت له عن الدكتور خليل بدران، الفلسطيني، المهذب، دمث الأخلاق، الذي قال لها ذات مرة أثناء حفلة عند (ملتون لورانس، ذلك اليهودي الذي أصبح حمائمياً، في ثنايا مناقشة، وهو يضحك، وعيونه البنية، محتقنة بالدم:

«نعم أنا أعرف أنكم (الإسرائيليون) منذ ثلاثين عاماً، وأنتم تريدون الفوز بالدنيا والآخرة، اليد تسلب، وتطرد، وتسفك الدماء، والفم يستنكر هذه الأعمال، باسم أخلاق الأنبياء».

وبعد ذلك، ومن أجل تلطيف الجو، وبابتسامته الساحرة، التي أخذت بقلوب الحاضرين، أضاف، قائلاً: «أنا لا أقصدك بالحديث يا سيد لفيان، فأنت حمامة، حسبما يطلقون على هذا عندكم (في إسرائيل)، ولكن مع الأسف الحمائم عندكم لهم أجنحة، وليست لهم أرجل»[1].

في هذه الفقرة، يؤكد «ميجد» على فطنة، وذكاء، وجرأة الفلسطيني، حيث كرر وصفه بأنه مهذب، ودمث الخلق، وأن ابتسامته الساحرة تأخذ بقلوب جميع الحاضرين. ومن هنا، فقد قام بتوجيه النقد اللاذع، والساخر للسياسة الإسرائيلية، وتوجهاتها الإجرامية.

جاء النقد اللاذع الموجه من الفلسطيني، الدكتور خليل بدران، في صميم السياسة الإسرائيلية المتناقضة، حيث القتل، والتشريد، والطرد للفلسطينيين، من

(١) المصدر نفسه، ص١٠٣.

جانب السلطات الإسرائيلية، وفي نفس الوقت هناك من يستنكر هذه الأعمال، ويشجبها، مدعياً بأنها لا تتناسب مع أخلاق الأنبياء.

وإزاء ذلك يعرب خليل بدران، عن دهشته، وسخريته، من هذه التوجهات الشاذة، حيث الرغبة في الفوز بالدنيا، «متمثلة في الاستيلاء على الأرض»، والفوز بالآخرة، بالتمتع بأخلاق الأنبياء، واستنكار أعمال العنف، والقسوة.

وعلى الرغم من أن سياسة الحمائم تنطوي على أبعاد، وخطوط أقرب ما تكون منصفة، ومؤازرة للحقوق اليهودية، والإنسان اليهودي، بمناصرة الأفكار الرامية للسلام، والتفاوض مع الفلسطينيين. فإنه انتقدها لكونها سياسة غير مستقرة، وغير راسخة، كما عبر عنها في الرواية، بقوله :« لكن مع الأسف الحمائم عندكم لهم أجنحة، وليست لهم أرجل».

وتبرز حنكة الأديب في الوصف، والتدقيق، حيث أبرز أن الرفض، والتأييد يصدر من جسم واحد (اليد تسلب، وتطرد، وتسفك الدماء، والفم يستنكر هذه الأعمال، باسم أخلاق الأنبياء)، أي أن الشر، وادعاء الخير صادران من الكيان الإسرائيلي المحتل.

وقد أصابته الدهشة لما سمعه من الأساتذة في جامعة بير زيت، عما يجري هناك ضد السكان العرب في الضفة الغربية، وأنهم مع أصالتهم هذه يتحملون قسوة معاملة جنود الجيش الإسرائيلي، والتصييق عليهم، علاوة على الاعتقال، والأسر، والحصار.

وفي هذه الفقرة، يذهب الكاتب إلى الصراحة، والتصريح، عما يقوم به الجيش الإسرائيلي، وقد نعته بأنه «جيش الاحتلال»، حيال تصرفاته في الضفة الغربية، مع مؤسسات تعليمية أكاديمية، من المفروض لها جلالها، وقدسيتها، ولكنها لم تسلم

من تنكيل الجيش الإسرائيلي.

فقد جاء في رواية «فويجلمان»:

سافر الاثنان لجامعة بير زيت (جامعة فلسطينية في الضفة الغربية)، وهناك استمعا من أعضاء هيئة التدريس، عن مكائد جيش الاحتلال للمؤسسة ، وعن أوامر الإغلاق، والاعتقالات، وعمليات السجن، (سأل، وقد شبك أصابعه الطويلة، والدقيقة على صدره):

ماذا يقول عن الأكاديميين في إسرائيل؟ [1] .

إن هذه الفقرة تنطوي على اعتراف من الأديب، بوجود مؤسسات أكاديمية فسطينية :«جامعة بيرزيت، وأن هذه الجامعة تضم أعضاء هيئة تدريس من الشباب، كما أنها تؤكد الحقيقة المريرة، التي يعيشونها، والتي يعترف بها «ميجد»، حيثما نعت بصراحة الجيش الإسرائيلي، بأنه «جيش الاحتلال»، والذي ينحصر دوره في التنكيل بأعضاء هيئة التدريس، واعتقالهم، وسجنهم، وكيف أن مثل هذه السلوكيات اللا إنسانية، لابد أن يكون لها صدى لدى نظرائهم من الأكاديميين الإسرائيليين.

وإذا كان «ميجد» قد عبر بصراحة في نعته للجيش الإسرائيلي، بأنه «جيش الاحتلال»، وذلك من خلال ما ورد في الفقرة السابقة من رواية «فويجلمان»، فهذا يتفق مع ما قاله في إحدى المقابلات الصحفية، حيث يقول:

«بواقع التاريخ، ودلالاته نحن (الإسرائيليون) نسيطر على شعب، وهذا الشعب غير راض بالعيش تحت الاحتلال، وهو، دائماً، يحاربنا، وفي تلك الحروب نحن الذين ننتصر» [2] .

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص٩٢.

(٢) رماج، مصدر سبق ذكره.

ومن هنا، نجد علاقة واضحة فيما صرح به «ميجد»، في رواية «فويجلمان»، بوصفه الجيش الإسرائيلي، بأنه جيش الاحتلال، وبين ما جاء على لسانه في المقابلة الصحفية، حيث تحدث عن الاحتلال الإسرائيلي، والسيطرة على الشعب الفلسطيني، الذي يقاوم هذا الاحتلال الغاصب، ويرفضه.

وقد كرر «ميجد» كلمة «الشعب» مرتين، اعترافًا منه بأحقية الشعب الفلسطيني في الاستقلال، بعيداً، عن سيطرة «الاحتلال»، والجيش الإسرائيلي، ولكونهم شعباً له كيانه، وله أيضاً، مؤسساته الأكاديمية، كما هو وارد في الفقرة السابقة.

وفي جانب آخر من رواية «فويجلمان»، يروى «تسفى أربيل» (وهو أستاذ للتاريخ اليهودي بجامعة تل أبيب، وزوجته «نورا»، وهي عالمة بيولوجيا في المعهد البيولوجي بالقدس، عن التجاوزات الإسرائيلية ضد السكان العرب، وعن ما قدمه أستاذ لعلم الأوبئة من جامعة بيرزيت، من أدلة علمية، تؤكد تورط الجيش الإسرائيلي، في الإضرار المتعمد بصحة سكان الضفة الغربية:

وهذا يبدو واضحاً في هذه الفقرة:

سموم.....

قلت، وحكيت أنه في مؤتمر البيولوجيين الذي أقيم بالقدس، وشاركت فيه زوجتي، لأنها تعمل بيولوجية.

إنه وقف على المسرح، أستاذ لعلم الأوبئة من جامعة بير زيت، واتهم الجيش الإسرائيلي بنشر مواد سامة في مواد الطعام، ومنابع المياه، بمناطق الضفة الغربية، من أجل نشر الميكروبات الوبائية بين السكان العرب.

وقد أحضر أدلة علمية، تؤكد اتهامه.

قالت (أربيل) : إن هذا نوع من الافتراءات، كان المسيحيون في العصور

الوسطى، ينشرونها عن اليهود[1].

يؤكد الكاتب في الفقرة السابقة على الشكل العام الثقافي، والعلمي للشعب الفلسطيني، من خلال مؤسساته التعليمية العالية «جامعة بير زيت».

بإضافة توجهات جديدة من خلال شخصية أخرى، يمثلها أستاذ لعلم الأوبئة، حيث يقدم الأدلة العلمية، والمعملية لتورط الجيش الإسرائيلي باستخدام السموم في تلويث مصادر المياه، ومواد الطعام للفلسطينيين، من أجل نشر الميكروبات الوبائية بين السكان العرب.

ويأتي ادعاء «تسفى أربيل»، أستاذ التاريخ اليهودي، بأن هذا محض افتراء ضد الجيش الإسرائيلي، ولكن هذا الادعاء يبدو باهتاً أمام ما أورده الكاتب في الفقرة السابقة، ويؤكد بلا شك الاتهام الذي قدمه الأكاديمي العربي، «أحضر أدلة علمية تؤكد اتهامه»، فالأدلة العلمية المذكورة، هي أدلة علمية مادية بعيدة عن الشك، وتؤكد حسب نتائجها هذا الاتهام.

وهذه الواقعة لها ما يؤكد واقعيتها، فقد تناولها ميجد على لسان شخصيات فلسطينية، إنما أراد بها أن يعطي مصداقية للحدث، تدخل في إطار الالتزام الواقعي بصحة الأحداث، التي يتناولها الأديب الواقعي في رواياته، وجاء تأكيد الواقعة بأدلة علمية على لسان يهودية متخصصة في تلك الأدلة البيولوجية، حيث إنه من السهل عليها أن تبرهن العكس، ولكنها أقرت بهذه الأدلة العلمية، التي تؤكد واقعة قيام الجيش الإسرائيلي بتلويث منابع المياه، والطعام لسكان الضفة الغربية.

«في عام ١٩٨٣، انفجرت مظاهرات طلابية خرجت من المدارس الفلسطينية

(١) ميجد، رواية فويجلمان، مصدر سبق ذكره، ص٩٢، ٩٣.

الثانوية، في الضفة الغربية. كان الطلاب الفلسطينيون يتظاهرون احتجاجًا على قيام الإسرائيليين بدس أنواع من السموم العازية، في مدارس الفتيات العربيات، بهدف إصابتهن بالعقم، والعجز عن الإنجاب. واتصل أحد قادة الاحتلال الإسرائيلي المتمركزين في الضفة الغربية، برئيس الأركان الإسرائيلي، في ذلك الوقت، «الجنرال رفائيل إيتان»، ليسأله- كما ذكرت الصحف العبرية-: «ماذا أفعل يا سيدي رئيس الأركان؟ إن الطلاب يلقون علينا بالحجارة؟

وجاءت إجابة رئيس الأركان بالحرف الواحد، تقول:

«انزعوا لهم خصياتهم. لا ضرورة لأن يكونوا رجالاً» [1].

وما ورد على لسان الجنرال رفائيل أيتان، رئيس أركان جيش الاحتلال الإسرائيلي من إجابة، تعد أمراً فورياً، إنما يعبر عن قلق، وهلع يدور في الأوساط الإسرائيلية، من كثرة، وتنامي العرب، وزيادة المواليد، بالمقارنة باليهود في إسرائيل، وهذا يشكل رعباً حقيقياً، يمثل في المستقبل قوة للفلسطينيين تزحف على الأرض، ومن هنا كانت هذه التصرفات الشيطانية المبرمجة، علاوة على الأسوار الفاصلة بين العرب واليهود.

◆ ◆ ◆

(١) البحراوي، نزع الصفات ... المقدمة، مصدر سبق ذكره، ص٩.